

هذا هو الإسلام

(٦)

الفلسفة السياسية

د. أحمد داود أوغلو

ترجمة

د. إبراهيم البيومي غانم

تقديم

د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية

هذا هو الإسلام

(٦)

✽ الفلسفة السياسية

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - يناير ٢٠٠٦ م

مكتبة الشروق الدولية

٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسى - القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ - ٤٥٠١٢٢٩ - ٢٥٦٥٩٢٩

Email: < shoroukintl @ hotmail . com >

< shoroukintl @ yahoo . com >

هذا هو الإسلام

(٦)

الفلسفة السياسية

د. أحمد داود أوغلو

ترجمة

د. إبراهيم البيومي غانم

تقديم

د. محمد عمارة

مكتبة الشرق الدولية



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم: الدكتور محمد عمارة

فارق بين «العالمية»، التي تعنى التفاعل الحضارى الطوعى بين حضارات متميزة تتفاعل - متبادلة المصالح والخبرات والمعارف والعلوم - من موقع الاستقلال الذى يحافظ على الخصوصيات، عندما تلتقى - هذه «العالمية» - عند القواسم المشتركة بين الحضارات الإنسانية المتميزة والمتفاعلة .

فارق بين هذه «العالمية» وبين هذا الذى يسمونه «العولمة» أو «الكوكبية» أو «الكوننة»، والذى هو - بشهادة الواقع الذى يراه الجميع : اجتياح اقتصادى وثقافى، وهيمنة سياسية وعسكرية، من الطرف الأقوى فى النظام الدولى، على فضاءات وخصوصيات حضارات وثقافات الضعفاء والمستضعفين .

وحتى إذا قبلنا أن ثورة وسائل الاتصال الحديثة، و«الانقجار المعلوماتى» قد جعل من عالمنا «قرية» واحدة صغيرة، فإن الواقع الصارخ الذى تعيشه هذه «القرية» يقول بأعلى صوته، بل ويرسم بالدم والأشلاء والمحاصرات والمجاعات، إن بيوت هذه «القرية» وسكانها ليسوا سواء! . . ففيهم القاتل وفيهم المقتول . . وفيهم الظالم وفيهم المظلوم . . وفيهم معتصب الأوطان وفيهم اللاجئين المشردون . . وفيهم من يجتاح السيادة الوطنية ويخترق الأمن القومى والحضارى وفيهم من يُحرّم من أبسط حقوق تقرير المصير!

وهذا الذى يتحدثون عنه باسم «الاعتماد المتبادل» بين أم وشعوب هذه «العولمة» ،
ليس أكثر من أكذوبة تحتاج إلى «رسام كاريكاتير» ! . .

فالاعتماد المتبادل مستحيل إذا لم يكن هناك تكافؤ فى القوى والمصالح بين أطرافه
ومكوناته . . وإلا فأين هو هذا «الاعتماد المتبادل» بين من يتدجج بأكثر وأخطر وأوفر
وأفتك أسلحة الدمار الشامل وبين من يتزع سلاحه ؟ ! . .

وأين هو هذا «الاعتماد المتبادل» بين قوى الهيمنة الاقتصادية وبين من تُقرض عليهم
«روشتة» البنك والصندوق الدوليين ؟ !

وأين هو هذا «الاعتماد المتبادل» بين من يفرضون ثقافتهم وقيمهم ، بل وعقائدهم
الدينية ، وبين من تمطرهم .. دون وقاية - وسائل البث المباشر ومؤسسات النشر بهذه
الثقافات والقيم والعقائد التى تحتاج قيمهم الحضارية وتشكك فى عقائدهم الدينية
وتمسح السمات القومية لأعمهم وشعوبهم ؟ !

إن تصاعد آثار هذه «العولمة» - التى يتحدثون عنها - لا يثمر «اعتمادا متبادلا» ، ولا
«العالمية» ، التى هى مطمح الشعوب ، وأمل الحضارات . . وإنما يثمر تزايد الخلل فى
علاقات الأقرباء بالمستضعفين الساعين إلى النهوض والانعقاد من مآزق الشكوك
والاستضعاف ، الأمر الذى يفرض علينا الاهتمام بالخصوصيات الحضارية ، والتميزات
الثقافية ، والسمات القومية ، ومعايير السيادة الوطنية ، فى الوقت ذاته الذى نمارس فيه
التفاعل الحضارى - الصحى والطوعى - مع مختلف الحضارات والثقافات . .

وإذا كان الإدراك العلمى الموضوعى لخصوصية الحضارة الإسلامية ، فى ضوء
مقارنتها بخصوصية الحضارة الغربية - التى تسعى لتكريس هيمنتها على عالم الإسلام -
لا يمكن أن يتأتى - على النحو العلمى والموضوعى - إلا إذا امتلك الإنسان ناصية الفقه
والوعى بسمات فلسفة النموذج الحضارى الإسلامى ، وسمات فلسفة النموذج
الحضارى الغربى ، مع ملكة النقد القارن بينهما ، فإن صاحب هذا الكتاب - الدكتور
أحمد داود أوغلو - هو نموذج للمفكر الموهل ليقدم لنا رؤية علمية موضوعية فى هذا
الميدان . .

ففي صفحات هذا الكتاب - على صغر حجمه - يتجلى عمق المؤلف في إدراك السمات والقسمات الفارقة - وبخاصة «المعرفية» - «القيمية»، وأيضاً الجامعة - بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، بوجه عام. . وفي الفلسفة والسياسة - أو الفلسفة السياسية - على وجه الخصوص. . الأمر الذي يجعل من هذا الكتاب جهداً متميزاً وممتازاً في فقه التفاعل الحضاري، يفتح أبواب ونوافذ العقل المسلم على التراث الغربي - القديم والحديث والمعاصر - لكن من موقع الراشد المدرك لخصوصية هويته الإسلامية، وتميز حضارته عن غيرها من الحضارات. .

وإذا كان مناخ الحديث عن «العولمة» - بمعنى «التغريب» - حيناً. . و«الأمركة» - في أغلب الأحيان - يستدعي تحصين العقل المسلم، لا بالانغلاق فهو ضار، فضلاً عن أنه غير ممكن. . ولا «بالتبعية والتقليد» للآخر، ففيهما قتل للمناعة الحضارية للأمة. . وإنما بالوعي بخصائص «الذات» وبخصائص «الآخر»، واتخاذ الموقف النقدي - الذي يتغيا الحفاظ على الذات - مع تجديدها - دون أن نبخس الآخرين ما لديهم من إيجابيات، وما يجمعنا بهم من نقاط اتفاق. .

إذا كان هذا المناخ هو السائد في واقعنا الفكري هذه الأيام، فإن ترجمة هذا الكتاب - والتي نهض بها باحث متميز هو الدكتور إبراهيم البيومي غانم - وتقديمه إلى الباحثين والقراء إنما يأتي في أنسب الأوقات. .

« فسيجد القارئ في هذا الكتاب كنزاً من الروى المعرفية الإسلامية، التي تتوالى لتقيم بناء التمايز الفلسفي والفكري والمعرفي بين الإسلام والفلسفة الوضعية الغربية. . فتسامي الوجود الإلهي الواحد المترو عن الإنسان المستخلف - الذي سخرت له الطبيعة - يمثل جوهر النظرة الوجودية الإسلامية للعالم. . بينما تمثل النظرة الغربية النقيض. . فالخلول الإلهي في الإنسان قد جعل التسامي الوجودي - عندما يخص وجود الإله - للإنسان، وليس للإله. . وهي نظرة فلسفية جامعة لمدارس وفلسفات الفكر الغربي، التي تعددت مناهجها، ولكن في هذا الإطار العام والجامع. .

« وسيجد القارئ أن اختلاف مدارس الفكر الإسلامي إنما هو اختلاف تنوع في المناهج، محكوم بثوابت النظرة الإسلامية لله والكون والوجود. . فهو اختلاف تنوع في إطار فلسفة إسلامية ميزت كل مدارس التفلسف والفقه في حضارة الإسلام. .

« وسيجد القارئ أن استقلال العقل البشرى عند المعتزلة، لا يمكن - كما يزعم البعض - أن تؤسس عليه «علمانية» تجعل الإنسان مستقلاً ومكتفياً بذاته عن الشريعة الإلهية؛ لأن هذا الاستقلال قد قال به المعتزلة وهم يبحثون في وحدانية الإيمان بالله، وليس - كما في «العلمانية» - لاستقلال الإنسان عن التعبير الإلهي، وانكفائه بنفسه عن شريعة الله.

« والتمييز بين سيادة الشريعة - التي هي وضع إلهي ثابت ومطلق ومحيط - وبين سلطة الاجتهاد الإنساني - النسبي والظني - والمحكوم بسيادة الشريعة الإلهية، هو معلّم من معالم تميز الفلسفة الإسلامية واعتيازها..

« وفارق بين نظرية «الخلول» - حلول الله في الإنسان - وبين نظرية «الاستخلاف» - استخلاف الله للإنسان - فالأولى تنفي التوحيد، وتنفي التنزيه، وتنقل التسمي إلى الإنسان.. بينما تحافظ الثانية على التوحيد وعلى التنزيه، مع التكريم للإنسان.. والأولى تضيئ الإطلاق على المعرفة الإنسانية، والعقل الإنساني - عندما ترى أنه «لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده» - بينما تحتفظ الثانية بالإطلاق والشمول والإحاطة للوحي الإلهي والعلم الإلهي، وتقف بالاجتهاد الإنساني والعقل البشرى والمعرفة الإنسانية عند النسبية، فسد الباب على السلطة الكهنوتية المطلقة لرجال الدين، والسلطة المطلقة للدولة، أو الطبقة الرأسمالية، أو الطبقة الاشتراكية في الحزب «البيروقراطية» الحزبية..

« ثم.. كيف أدت نظرية «كوبرنيكس» (١٤٧٣ - ١٥٤٣ م) عن مركزية الشمس للكون، إلى نظرية معرفية تجعل الطبيعة هي المركز في تصور الإنسان للعالم، فبدأت بذلك التحول - في الفكر الغربي - ثورة، لا على المستوى الكوني فحسب، وإنما على المستويات الوجودية والمعرفية، والقيمية والاجتماعية أيضاً.. وكان ذلك هو التأسيس، «لعلمنة» المعرفة والحياة في الفكر الغربي.. بينما ظل الفكر الإسلامي على عقيدة «وحدة الله»، على المستوى الوجودي، التي تؤدي إلى عقيدة «وحدة الحقيقة»، و«وحدة الحياة»، على نحو من التراتب يحول دون علمنة الحياة والمعرفة والقيم في الثقافة الإسلامية..

ففى مقابل «مركزية الطبيعة» و«الإنسان الطبيعي» - فى الفكر الغربى - نجد - فى الفكر الإسلامى - «التمركز حول الله»، الواحد، المتسامى الوجود، والمنتزه عن مماثلة المحدثات... ونجد «استخلاف الإنسان»، الذى نفع الله فيه من روحه، وسخر له قوى الطبيعة، لإعمار الأرض..

فالاستخلاف، والأمانة التى حملها الإنسان هما أصل القيم المعيارية الإسلامية.. والعهد الإلهى للإنسان الخليفة - أى الشريعة - هو أصل العقد الاجتماعى السياسى.. الأمر الذى ينشأ - فى السياسة الإسلامية - الفصل بين «القدس والعلمانى» أو بين «الدينى والدنيوى» أو بين «المادى والأخلاقى»، أو بين «الحياة الروحية والحياة المادية»، ولذلك فالدولة فى السياسة الإسلامية «دولة مثالية» غايتها تحقيق «العدالة»، وليست «دولة طبيعية».. هى دولة مثالية، تحققت فى التاريخ - على العهدين النبوى والراشدى - ولا تزال «مثالا» يستحث الأمة على تحقيقه فى الحاضر والمستقبل.. بل لقد غدت مثالياتها هذه المبرر لشرعية الدولة والسياسة فى الفكر الإسلامى.. وهى ليست مثالية بالمعنى الأفلاطونى، الذى ظلت فيه خيالا استعصى على التحقق فى التاريخ.

«وبينما جعل الغرب - بعد سيادة المكافيلية - «القوة» معياراً للسياسة، ففصلها عن القيم، اتخذ الإسلام «الاقتراب من الصلاح والابتعاد عن الفساد» معياراً للسياسة الشرعية، فجعل القيم معياراً للسياسة، عندما ربط القوة السياسية بالتسامى الوجودى الإلهى، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق..»

فالإسلام يرفع العدالة هدفاً للسياسة، بدلاً من القوة التى هى هدف السياسة الغربية.. ومن هنا اتسعت فى الفقه الإسلامى مساحة المبحث الرامى إلى إدانة استخدام واستغلال السلطة - السياسية أو الاقتصادية - انطلاقاً من الموقف القرآنى الذى أدان فرعون (لإساءته استخدام السلطة السياسية) وأدان قارون (لإساءته استخدام السلطة الاقتصادية)، بينما امتدح ملكة سبأ (التي أحسنت التعامل مع السلطة السياسية) وأثنى على الأنصار الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة..

«وفى الاقتصاد: تقوم العقلية الاقتصادية الغربية على أساس «أن ما يتم إنتاجه يجب أن يستهلك»، الأمر الذى أثمر ثقافة استهلاكية، يؤدى تعميقها عالمياً إلى القضاء

على التعددية في أنماط العيش وفي الثقافة وفي القانون. . بينما تقوم العقلية الاقتصادية الإسلامية على أساس مبدأ «أن كل ما يحتاج إليه الناس ينبغي أن ينتج»، وذلك انطلاقاً من الاقتصاد المعيارى، لا الاقتصاد الوضعى.

«وعلى حين يقوم مفهوم «المواطنة» - فى النموذج الغربى - على معيار الأصل العرقى، يقوم هذا المفهوم - فى النموذج الإسلامى - على الهوية الاجتماعية السياسية، التى هى امتداد للإيمان بوحدة مسئولية الإنسان، ووحدة الحياة، انطلاقاً من عقيدة التوحيد. . فالأمة - إسلامياً - بناء على هذا المعيار مجتمع مفتوح أمام أى إنسان يقبل المسئولية، التى هى أساس تحديد الهوية، وعملية العلاقات الاجتماعية السياسية، بصرفه النظر عن أصله أو جنسه أو لونه.

فوحدة الأمة - فى النموذج الإسلامى - تعتمد على الاتجاه الوجودى، المزمع بواجب الوجود، والمتمثل فى منظومة القيم، بأكثر من اعتمادها على العوامل اللغوية (فالأمة قد تتكون من تعددية لغوية وقومية) أو العوامل الجغرافية (فلقد تتوزع الأمة بين أقاليم وولايات متعددة) أو العوامل الثقافية (فلقد تشعبت فى الأمة العادات والأعراف). . أو العوامل البيولوجية. إن وحدتها ترتبط ارتباطاً مباشراً بمفهومها للألوهية، وبالتصور الإسلامى للعالم، ذلك الذى ينبع من عقيدة التوحيد.



إن أساس تمايز الفلسفة السياسية الإسلامية عن نظيرتها الغربية راجع إلى تمايز رؤية كل من الفلسفتين وكل من النسقين الفكرين للعالم، حيث تنطلق الرؤية الإسلامية من التوحيد والتنزيه، عبر التدرج الوجودى (بالاستخلاق) إلى الأسس الوجودية للنصوص والثقافات السياسية. . بينما تعتمد الرؤية الغربية على تقارب المستويات الوجودية (وليس تدرجها) من خلال «تخصيص الألوهية»، ووجود عناصر مستمدة من ديانات التعدد (والحلل) (وليس التوحيد والتنزيه) الأمر الذى جعل الرؤية الغربية «علمانية»، تعتمد «مبحث القيم العقلانى»، ونظفى النسبة والملائمة حتى على الدين، فى مقابل إيمانية الرؤية الإسلامية، الملتزمة بمنظومة القيم الدينية الثابتة، والنابع ثباتها من الإطلاق الدينى.

تلك إشارات لبعض ما يقدمه هذا الكتاب من سمات للتمايز الحضارى بين الإسلام والغرب الحضارى ، تجعل من هذا الكتاب الصغير عملاً كبيراً فى المعركة ضد «المركزية الحضارية الغربية» ، التى يسعى الغرب وعملاؤه الحضاريون لفرضها على العالم ، باسم «العولمة» هذه الأيام .

فهو كتاب بالغ الأهمية فى موضوعه . . . وأيضاً من حيث التوقيت الذى تقدمه فيه إلى الباحثين والقراء . . .

والله سأل أن ينفع به . . . وأن يجزى خيراً المؤلف . . . والمترجم . . . إله - سبحانه وتعالى - أعظم مسئول وأكرم مجيب .

د . محمد عمارة



عن الكتاب.. والمؤلف.. والمترجم

العنوان الأصلي لهذه الدراسة التي كتبها مؤلفها بالإنجليزية هو :
The Impacts Of Alternative Weltanschawings On Political
Theories: A Comparison Of Tawhid And Ontological Proximity

والفكرة الجوهرية التي يقدمها الدكتور أحمد أوغلو في هذه الدراسة هي أن اختلاف
الرؤى الفلسفية للعالم ينعكس بالضرورة على النظريات السياسية الخاصة بتنظيم الحياة
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية : على مستوى نظام الدولة الواحدة ، وأيضا على
مستوى النظام الدولي بصفه عامة .

وتنقسم الدراسة إلى قسمين أساسيين : ناقش المؤلف في القسم الأول عدداً من
التساؤلات الأساسية حول العلاقة بين «الوجود» و«المعرفة» و«القيم» ، و«السياسة» وذلك في
الفكر الغربي ، مقارنة بالفكر الإسلامي المؤسس على «الوحي» . أما القسم الثاني فقد قام فيه
بتحليل أثر اختلاف الرؤى الفلسفية للعالم (كما أوضحها في القسم الأول) في النظريات
السياسية المتعلقة بالقضايا التالية :

- ١- قضية تسوية النظام السياسي الاجتماعي على أساس كوني - وجودي .
 - ٢- قضية شرعية النظام السياسي .
 - ٣- قضية التعددية السياسية ونظريات القوة .
 - ٤- قضية مركزية المؤسسة السياسية وتركيز القوة مقارنة بتعدد المؤسسات الاجتماعية
في النظام السياسي .
 - ٥- قضية «الثنائية» والتعددية في تكوين هيكل النظام الدولي .
- وسوف نتترك الدراسة الآن بدون مقدمات قد تؤثر على القارئ الكريم وهو
يطلعها . ونود فقط أن نذكر نبذة موجزة عن مؤلفها ، وعن مترجمها :

أما المؤلف فهو الدكتور أحمد داود أوغلو، وهو أستاذ العلوم السياسية بجامعة
البوسفور بتركيا ومتخصص في الدراسات السياسية الإسلامية المقارنة بالفكر السياسي
الغربي، ويجيد أربع لغات قراءة وكتابة وهي: التركية، والألمانية، والإنجليزية،
والعربية.

وقد عمل لعدة سنوات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

وهو يثقل بحاليا رئاسة إحدى المؤسسات الوقفية العاملة في مجال التعليم
والثقافة في تركيا، كما يشغل منصب المستشار لرئيس وزراء تركيا رجب طيب
أردوغان. . . ومثل تركيا لدى الاتحاد الأوروبي. . . وذلك فضلا عن قيامه بالإشراف
على «مجلة الديوان» التركية؛ وهي دورية علمية متخصصة في شئون الفكر والثقافة
والفنون. وله كثير من المؤلفات والدراسات العلمية، منها الكتاب الذي نشرته مكتبة
الشروق الدولية - عام ٢٠٠٦م - بعنوان «العالم الإسلامي في عهد التحولات
الحضارية»، وقد صدر هذا الكتاب باللغة الإنجليزية في سنة ١٩٩٤م بعنوان:
Civilizational Transformation And The Muslim World.

وهو يناقش في هذا الكتاب النظريات القائلة بصدام الحضارات، وصراع
الثقافات، ويرى أن ما يحدث في العالم هو «صدام المصالح» بين القوى الكبرى المهيمنة
على الساحة الدولية.

أما مترجم هذه الدراسة فهو الدكتور إبراهيم البيومي غانم، الخبير بالمركز القومي
للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة. وهو حاصل على دكتوراه في العلوم السياسية
من كلية الاقتصاد - جامعة القاهرة - في موضوع: «الأوقاف والسياسة في مصر
الحديثة»، وله عدد من البحوث والدراسات المنشورة، منها كتاب بعنوان: «الفكر
السياسي للإمام حسن البناء» وكتاب «الحركة الإسلامية في الجزائر وأزمة
الديمقراطية»، وكتاب «الأوقاف والسياسة في مصر الحديثة». هذا إلى جانب العديد
من الدراسات والأبحاث الميدانية المتخصصة والتميزة. . . وعشرات المقالات. . . والكثير
من الإسهامات في الندوات العلمية في مصر وخارجها.

الفلسفة السياسية

• في هذا الكتاب كنز من الرؤى المعرفية، التي تؤكد تميز حضارتنا الإسلامية عن الحضارة الغربية؛

- إن تنزيه الذات الإلهية عندنا يقابله حلول الآله في الإنسان، لدى مذاهب الفلسفة الغربية..

- والعقلانية الإسلامية؛ عقلانية مؤمنة، تبلورت في إطار البحث عن الإيمان بالله.. وليست العقلانية الغربية التي تجعل الإنسان مستقلاً عن الشريعة وعن الإيمان بالله..

- وبينما ظل الفكر الإسلامي على ولأله، لوحداً لله.. ووحدة الحقيقة... ووحدة الحياة... واستخلاف الإنسان... تأسست العلمانية الغربية على مركزية الطبيعة.. المستقلة عن الآله!.. وعلى التمرکز حول الإنسان.. الذي صاح: «لقد مات الله»!!..

- ومعيارية السياسة - في الدولة الإسلامية - هي قيم العدل.. بينما معيارها هو، القوة، في الفلسفة السياسية الغربية..

• ومؤلف هذا الكتاب فيلسوف مسلم، يحتل مكاناً متميزاً في الفكر الإسلامي التركي.. وفي صناعة القرار بالإدارة الحالية للدولة التركية..

كما أن مترجمه هو باحث مرموق وواعد في الساحة الفكرية الإسلامية..

• إنه كتاب صغير الحجم.. يحمل رسالة كبرى ضد العولمة والاحتياح الغربي لثقافة الإسلام.

د. محمد عمارة

